

نفحات القرآن

[21] للإيضاح نقول : يتوصل الإنسان تارةً إلى قضيّة ما عن طريق الإستدلال الوجداني والشواهد الفطرية ولكنّه يريد أن يجعلها في إطار البرهان العقلي ، فيستعين بفرضيات مختلفة ويدرس مستلزمات كلّ فرضية حتّى يصل إلى ما يريد . فمثلاً : يتوصل المحقّق إلى أصالة الروح بوجدانه ويرغب في إقامة البرهان على ذلك فيفترض الروح مادّية أو أنّ المادّية من خواصها ثمّ يدرس اعراض المادّة وخواصها ومستلزماتّها فيصل أخيراً إلى أنّ المادّية (أو اعراض المادّة) لا تتوافق مع الطواهر الروحية فينفيها الواحدة تلو الأخرى حتّى يبلغ تجرّد الروح . وإبراهيم (عليه السلام) أيضاً ولكي يسلك طريق التوحيد المنطقي والذي توصل إليه بوضوح في أعماق روحه يفترض فرضيات مختلفة ويقول (هذا ربّي) و (هذا ربّي) ثمّ يصل إلى بطلان هذه الإحتمالات بأفولها وغروبها حتّى يقول أخيراً (إنّني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (1) ويكمل توحيد المستدل . ونلاحظ في بعض الروايات إشارات خفيفة إلى هذا المضمون ، كما نقرأ عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى (كانَ النَّاسُ أُمَّمَةً وَاحِدَةً) الآية في حديث طويل ... وفي آخره يقول الراوي : قلت له : أفي ضلال كانوا قبل النبي أم على هدى ؟ قال (عليه السلام) : لم يكونوا على هدى بل كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله ، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله أمّا تسمع بقول إبراهيم (عليه السلام) : " لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين " أي ناسياً للميثاق(2) .

_____ * - وردت احتمالات أخرى في تفسير الآيات أعلاه منها

الإستفهام الإستنكاري والإستفهام بقصد الإستهزاء وأمثاله ، وخاصّة في تفسير التبيان وتفسير الفخر الرازي حيث أوردنا احتمالات عديدة ، ولكن لا ينسجم أي منها مع لحن الآية . 2 - نور الثقلين : 1/736 ، الحديث 148 .